

أما الدور الثاني فالذي اذكره أن دولتين من دول الإسلام تنبها إليه وعولتا عليه اولاهما دولة الأمويين في الأندلس التي جمعت في القرن الثالث داراً في قرطبة لشورى القضاء أعضاؤها من جلة العلماء يرجع إليهم في تقرير الأحكام.

والحق أقول أني لم أظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن ما رأيته عنها في ثنايا الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفخ الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاوراً وطنب فلان إلى الشورى فأبى ونقل إلى ثقة عن كتاب من الأسف أنه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الأحكام للقرطبي ورد فيه ذكر هذه الشورى بقوله أن الشورى خافت الإمام مالكا في عدة أحكام أخذت فيها بقول أبي القاسم. وفي هذا دليل كاف على أنه كان لديهم سلطة في التشريع وأن الدولة الأموية ثمة كانت مسددة الأعمال حتى قيل ومنها وسقوطها حريصة على إجراء قوانين العدل بين رعيتهما.

أما الدولة الثانية التي تبنت إلى مثل ما تنبه إليه الأمويين فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فإنها جمعت من علماء الأمة وفقائها الموثوق بفضلهم وعلوهم جماعة سمحتهم جمعية الخلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب قانوناً جامعاً لأحكام المدينة وهو المعروف بمجلة الأحكام العدلية وأقر على العمل به أهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم إلى اليوم.

ديوان الرصافي

طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ (ص ٢٣٠)

يعرف قراء هذه المجلة شعر معروف أفندي الرصافي بما قرأوه وله في مجندات المقتبس الأربع من الشعر الاجتماعي العذب المتين الذي كان فيه الفرد المقدم في العراق والشام أيام كان الكلام يحظر عني كل إنسان وقد اشتهر بذلك حتى وصفه بعضهم بأنه شاعر المقتبس ولا عجب فهذه المجلة تفاخر بهذه النسبة. وقد طبع هذه المرة ديوانه وأكثر من ثلاثة أرباعه مما نشر في هذه المجلة عني بتوبيه الشيخ محي الدين الخياط من أفاضل بيروت وقدم له مقدمة رائقة وجعله في أربعة أبواب الكونيات والاجتماعيات والتاريخيات والوصفيات ومن شعر الرصافي الأخير من قصيدة في جرائد الأستانة.

ولم يكفها هذا الخلاف وإنما ... أطافت بنقص الحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب ... وما بين محمود عليه وجاحد
ترى في فروق اليوم قراء صحفها ... فريقين من ذي حجة ومعاند
جدال عني مر الجليدين دائم ... بتفنيد رأي أو بتقيد ناقد

وقال فيها:

ولم أر شيئاً كالجرائد عندهم ... مبادئه منقوضة بالمقاصد
يقولون نحن المصلحون ولم أجد ... لهم في مجال القول غير المقاصد
وكيفيين الحق من نفاقهم ... وكل له في الحق نفثة مارد
وقال من قصيدة في وصف لبنان:

لبنان تفعل بالحياة جنانة ... فعل الزلال بغنة الظلمات
وترد غصن العيش بعد ذبوله ... غصناً يمد بفرعه الفينان
فكأن لبنانا عروس إذ غدا ... يزهر بنشر غدائر الأغصان

وكأنما البحر الحضم سجنجل ... ييدي خيال جهالها الفتان
 جبل سمت منه الفروع وأصله ... تحت البيطة راسخ الأركان
 تقفو الغصون به النهار وفي الدجى ... تقفو عليه ذوائب النيران
 وترى النجوم على ذراه كأنها ... من فوقه درر على تيجان

إلى أن قال:

لبست ربي لبنان ثوباً أخضراً ... وزهت بحيث الحسن أحر قان
 نشر الربيع هن زهراً موقناً ... يزري بنظم قلاتد العقيان
 فبرزن من وشي الطبيعة بالخلي ... فكأنهن بحسنهن غوان
 وكان صنياً أطل مراقباً ... يرنو لمن بمقلة الغيران
 تلك الربى أما الجنا فواحد ... فيها وأما أهلها فاثنان
 رجل يسر إلى النجاح وآخر ... يسمى وغايتها إلى الحيران
 متخاذلين بما وهم اعواها ... ومن البلاء تخاذل الأعوان
 ضعفت مباني كل أمر عندهم ... ما بين هادمها وبين الباني
 وتفرقوا دنيا كان لم يكفهم ... في الثابتات تفرق الأديان
 وسعوا فرادى للنجاح وفاقهم ... أن التضامن رائد العمران
 وقال من قصيدة حول البومفور:

سفوح جبال بعضها فوق بعضها ... مكننة حافاتها بأشجار
 يروق بحجبها حرير مياها ... ويشجي بقطريها ترفم أطياف
 ويجري النسيم الرطب فيها كأنه ... تبخر بيضاء الترائب معطار

معاهد زرها في الهواجر تنفحها ... موشحة فيها برقة أسحار
 نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت ... على منحى الوادي ذوائب أنوار
 وقد ظل من بين الغصون شعاعها ... يوقع ديناراً لنا جنب دينار
 كأن الضفاف الدوح والنور بينها ... جيوب من الأنوار زرت بأززار
 تميل إذا هبّ النسيم غصونها ... فتأني بظل في الجوانب موار
 ترانا إذا ما الطير في الدوح غردت ... تميل بأسماع إليها وأبصار
 وقال من قصيدة في التربية بعد أن شاهد مسرح الحيوانات في بيروت:
 كأنما الليث لم يخلق أحاطفر ... محدد الناب قذاً إلى العطب
 شاهدته مشهداً بدعاً علت به ... أن الفرائز لم تطع على شغب
 وإن خبث البرايا في طبائعها ... لا بد فيه سوى الأطباع من سب
 وإن ليث الشرى ما صيغ مفترساً ... لكن حالته قراساً يد السغب
 وكم من الناس من قد راح مندفعاً ... بدافع الجوع نحو القتل والسلب
 وإن تربية الإنسان يرجعه ... إكسرها وهو من ترب إلى الذهب
 هذا إذا حنت أما إذا قبحت ... كالمندلي بها يمسي من الخطب
 فكل ماهو في الإنسان مكتوب ... فلا تقل فيه شيء غير مكتوب
 أي أرى أسوأ الآباء تربية ... للابن أخرى بأن يدعى اعقاب
 والمرء كالنبت ينمو حسب تربته ... وليس ينبت نبع منبت الغرب
 من عاش في الوسط الزاكي زكاً خلقاً ... حتى علا في المعالي أرفع الرتب
 فاحرس على أدب تحبها النفوس به ... فإنما قيمة الإنسان بالأدب

وقد عني بتفسير ألفاظه النغوية الشيخ مصطفى الغلاييني منشئ مجلة النبراس الشهير فجاء الديوان موفور الخيرات من كل الجهات حرياً بكل من ذاق لماظه من الأدب أن يقتنيه ويتدارسه فشعر الرصافي هو النموذج الراقي من شعر هذا العصر.

حكم إفرنجية

من الناس من فيهم الكفاءة ولا يرتقون لكن ليس منهم من يرتقون دون أن يكونوا على شيء من الكفاءة (لاروشفو كولد).

الأدب يظهر المرء في مظهره الخارجي كما يجب أن يكون عنده في مظهره الداخلي (لابروير).

علني من يريد أن يعمل الخير أن يعرف كيف يفكر بأن الحياة قصيرة لا ينبغي أن تضاع هنيئة منها عبثاً (فولتير).

علينا أن نعلم من نريد تعليمهم بالثال الحسن أكثر من أن نسن لهم الطرق ونخطط لهم الخطط فالثال هو الذي يعلم الرجال (شاتو بريان).

أنا نشعر بالألم الكثير من الملل من أيام السعود أكثر مما نشعر بمرور الاستتاع في أيام النحوس (بالزك).

عاش من عرت نفسه من الأوهام.

لا يكفي المرء أن يكون له عقل حتى يخلص من البهسية بل يجب أن يعرف كيف يستخدم عقله.

السعادة كالطير الأخضر الذي يقترب منك ثم يقفز قفزة صغيرة فلا تقدر أن تمسكه.

انتظار المدعو إلى دعوة إذا تأخر عن الميعاد قلة احترام لسائر المدعوين الحاضرين.